إن المرحلة الثانية من غزو البرابرة(الجرمان) للإمبراطورية يتمثل في غزوات القوط الشرقيين والفرنجة

1-**القوط الشرقيون** ظهروا للوجود في أواخر القرن5م بايطاليا وكان تحركهم باتجاه نهر الدانوب نتيجة الغط الهوني المتواصل وبعد وفاة زعيم الهون اتيلا تحرر القوط الشرقيون، حينها ظهرت شخصية ثيودريك، وفي سنة 488م تمكن الإمبراطور البيزنطي زينو من إقناع قائد القوط بالتحرك باتجاه ايطاليا ليضغط على ادواكر زعيم الهيرول إضافة إلى بسطة الامبراطور على هذه المنطقة، وبهذا تمكن ثيودريك من القضاء على اودواكر سنة493م وبسط نفوذه على المنطقة تحت راية الإمبراطور الشرقي ومن قصره في مدينة فيرونا اصدر قوانين تساوي بين الرومان والقوط الشرقيين، وحاول بعث الحكومة الرومانية كما أنه عمل على احياء الزراعة والفنون والأدب في الولايات، وبهذا استطاع ثيودرريك ايجاد مملكة بربرية على ارض الرومان ويصف ادوارد جيبون ثيودريك بأنه كان **مثالا نادرا لرجل متبربر وضع سيفه في غمده وهو في عز نصره وريعان شبابه**. ولكن أطماعه التوسعية أزعجت الإمبراطور، حيث بدأ يوطد علاقاته الخارجية بأن تزوج من أخت كلوفيس ملك الفرنجة كما زوج ابنته إلى ملك البرجنديين وتولى بدوره الوصاية على عرش القوط الغربيين في اسبانيا، ولذا قام الإمبراطور بالاعتراف لكلوفيس على غالة للتفرغ للقوط. ونتيجة لسياسة ثيودريك ازدهرت الحياة الثقافية في مجالات الموسيقى والرياضة والتمثيل، كما تم تشييد القصور والكنائس ورُممت المباني العامة، بالإضافة إلى ازدهار الزراعة والتجارة. وبالرغم من أنه كان أريوسي المذهب إلا أنه تسامح مع الآخرين وأعترف للبابا على الكنيسة الكاثوليكية وعلى مدينة روما. وفي آخر أيام حكمه لايطاليا واجه عدة متاعب وهذا بعد معاقبته للكاثوليك الثائرين، كما أنه جرد الايطاليين من أسلحتهم وردا على الإمبراطور الذي اصدر قانونا بتبعية الآريوسيين للكنيسة وبهذا اصدر ثيودريك أمرا بحظر ممارسة الديانة المسيحية الكاثوليكية، كما انه أمر بإعدام الفيلسوف بويثيوس الذي كان ضد الطغيان البربري. وبموت ثيودريك سنة 526م تدهورت مملكته التي قسمت بين حفيديه.

2- **مملكة الفرنجة486-751م** ظهر الفرنجة في أواخر القرن 5م وهذا ما يشير إليه جريجوري التوري صاحب كتاب (تاريخ الفرنجة) الذي كتبه في أواخر القرن6م. والفرنجة قسمان: **القسم الأول**: هم الفرنجة البحريون(الساليون) نسبة إلى نهر سالا غرب ووسط

ألمانيا وهم الأكثر قوة وفاعلية، أما **القسم الثاني** فهم البريون كان وجودهم على طول نهر الموزل الأدنى. استطاع الفرنجة أن يؤسسوا كيانا سياسيا كان له الأثر الأكبر في التاريخ الأوربي وخاصة الفرنسي والألماني. ونذكر خصوصا **الدولة الميروفنجية** التي تنسب إلى البطل الأسطوري ميروفيتش،ومن أشهر ملوكها كلوفيس(486-511م) حيث وصفه المؤرخ جريجوري التوري بالهمجية والوحشية وكقائد عسكري شديد المراس والدهاء. انتصر على الرومان في شمال غالة كما انتصر على قبائل الألماني في شرق الراين والقوط الغربيين في تولوز. توطن كلوفيس في غالة اتخذ باريس عاصمة له. وبالرغم من أن الميروفنجيين أسسوا مملكتهم إلا أنهم عجزوا عن إدارتها ووضعوا السلطة في يد الارستقراطية، كما أن الدولة يتم تقسيمها كإرث وهذا له أثره السلبي على مصيرها حيث أصبحت في صراع دائم، بالإضافة إلى فرض الضرائب على السكان دون خدمة يقدمها الملوك وبهذا برز نفوذ آخر يتمثل في نظار القصور في الدولة وتهميش الملوك بحيث أصبحت السلطة الفعلية لهؤلاء النظار.

3- **خلفاء كلوفس 511-751م** تشكلت الدولة الميروفنجية من قسمين هما القسم الشرقي(اوستراسيا) يغلب عليه الطابع الجرماني نتيجة قربه من موطنه الأصلي أما القسم الغربي(نوستريا) فيغلب عليه العنصر الروماني بسبب بعده عن موطنه، وبوفاة كلوفس بدا الضعف يدب في المملكة بحيث تم تقسيمها إلى أربعة ممالك وظهور نفوذ آخر كان لنظار القصور major domo سطوة عليه. وقد تطور دور ناظر القصر وأصبح يتحكم في زمام الأمور في ظل ضعف الدولة، بل أصبح منصب ناظر القصر وراثيا وازداد نفوذه منذ سنة687 إلى غاية751م. ويضيف المؤرخ ساليفان إلى العوامل السابقة عامل آخر وهو اعتمادها على القوة لتحقيق الغايات السياسية، كما سجل المؤرخ جريجوري التوري في كتابه تاريخ الفرنجة أن النساء الميروفنجيات لم يسلمن من هذه الوحشية والقسوة فشاركن في أعمال القتل والمؤامرة والصراع على العرش مما انعكس على الملوك أنفسهم. ولم يستطع الملوك تطبيق الإصلاح بسبب تعدد العادات والطقوس الدينية وتنوع الثقافة ويستحيل تطبيق سياسة موحدة على مختلف العناصر المكونة للمجتمع حتى أصبحت هذه الفترة تتسم بالفوضى السياسية.

إن اضمحلال الدولة الميروفنجية سيهيئ لبداية مرحلة جديدة في تاريخ الفرنجة في غالة وجوارها، فبظهور وظيفة ناظر القصر الذي يشرف على تسيير أمور البلاط بل ازداد نفوذه وأصبح يدير الأراضي الملكية وتنظيمها، وأصبح بمثابة الوزير الأول في المملكة وصار له الإشراف على الإيرادات وتوزيع الهبات والوظائف. ومن ابرز نظار القصر الميروفنجي نجد:

1- **ببين هرستال** : كان ناظرا للقصر في عهد الملك الميروفنجي شيلدبرت الثاني في الجزء الشرقي من الدولة. وبرزت مكانته عندما انتصر على الجزء الغربي(نوستريا) بين سنتي 681-687م بحيث أصبح له فئة موالية اقطعها الأراضي مقابل الخدمة العسكرية وألزمهم بيمين الولاء، كما كانت له فكرة الوقوف إلى جانب البعثات التنصيرية للقبائل الجرمانية على يد **فيلبرود** الذي أعطاه ببين مركزا بمنطقته وهذا ليظهر بمظهر المؤيد للكنيسة لتقف إلى جانبه فيما بعد.

2- **شارل مارتل**(714-741م) وصل إلى منصب ناظر القصر بعد صراع داخلي، يلقب بالمطرقة لأنه تمكن من الانتصار على أعدائه في الداخل والخارج وخاصة انتصاره على المسلمين سنة732م، أعاد تنظيم الجيش واستبدل المشاة بالفرسان كعنصر أساسي في الجيش الكارولنجي وبهذه الطريقة ومنح الأراضي ويمين الولاء ضمن ولاء الطبقة الجديدة من الأفصال التابعين له. خاض شارل مارتل حملات مداهمة ضد السكسون والفريزيين والألماني والبافار وتمكن من الانتصار عليهم. واكبر انتصار عزز مكانته في أوربا انتصاره على المسلمين في جنوب غالة بقيادة عبد الرحمن الغافقي سنة732م. وبوصول المسلمين إلى إقليم اكيتانيا استنجد حاكمها بشارل مارتل فأعد قواته لمواجهة المسلمين الذين يهددون مملكته. وفي جانب آخر وطد علاقته بالبابوية حيث أرسل اليه البابا جريجوري الثالث731-741م مفاتيح قبر القديس بطرس مع دعوته للقدوم إلى ايطاليا وإنقاذها من اللومبارديين. ومهما يكن من أمر فإن جسور التواصل بين البابوية والدولة بدأت تتوطد أركانها التي يكون لها اثر على التاريخ الأوربي فيما بعد.

3-ببين الثالث(القصير) وكارلومان: بعد وفاة شارل مارتل آل الحكم إلى أبنيه ببين القصير وكارلومان غير أن هذا الأخير تنازل عن الحكم سنة 747م وأصبح راهبا في دير مونت كاسينو. وبما أن البابوية بحاجة إلى مساعدة ببين لطرد اللومبارديين من ايطاليا وجدت ظالتها فيه الذي اختير ملكا على الفرنجة بموافقة البابوية، وفي احتفال ديني قام الأسقف بونيفاس ممثل البابا في فرنسا بمسح ببين بالزيت المقدس وترسيمه ملكا على الغرب الأوربي. وبهذا انتهى دور المملكة الميروفنجية أواخر سنة 751م ويبدأ عهد **المملكة الكارولنجية** التي يكون لها شأن عظيم في التاريخ الأوربي وفي نفس الوقت سيعلو شأن البابوية وظهور دورها كقوة سياسية. وفي سنة 754م

انتقل البابا بونيفاس الثاني إلى منطقة غالة يطلب المساعدة ضد اللومبارديين فاستقبله ببين القصير وفي كنيسة القديس دونيس أُقيم احتفال وقام البابا بمنح الملك لقب **حامي الكنيسة**. وفي سنتي 755م756م قام ببين القصير بحملة على ايطاليا وعلى أثرها استرجع إقليم رافنا وسلمه للبابوية، كما أعطى للبابوية ما يعرف باسم **هبة ببين** وأصبحت وثيقة رسمية في النزاع مع السلطة العلمانية (الإمبراطورية)، وهكذا توطدت العلاقة بين البابوية والكارولنجيين والتي تطورت فيما بعد في عهد شارلمان الذي بها سيعيد إحياء الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

4-**الدولة الكارولنجية في عهد شارلمان**(768-814م): توفي ببين القصير سنة 768م فقسمت الدولة بين ولديه شارلمان وكارلمان غير أن هذا الأخير توفي سنة771م فضم شارلمان أملاك أخيه، وبرع في شؤون التسيير والإدارة داخليا وخارجيا كونه سياسيا وعسكريا. وفي سياسته الخارجية اتبع سياسة التوسع على حساب جيرانه حيث تم ضم إقليم اكويتين كما انه تصدى للومبارديين والسكسون إضافة إلى حروبه ضد البافاريين والمسلمين في الأندلس وحسب ما يروي لنا اينهارد(ت.840م) مؤرخ شارلمان وبعض المصادر الإسلامية فإن مجموعة من الأمراء المسلمين في الأندلس كانوا يرون بأن عبد الرحمن الداخل(138-172هـ/756-788م) مغتصبا للحكم ولما فشلوا في استرجاعه طلبوا مساعدة شارلمان. وفي سنة 777م اتصل عبد الرحمن بن حبيب الفهري وسليمان بن يقظان الكلبي حاكم سرقسطة بشارلمان لقتال عبد الرحمن الداخل. حيث يقوم سليمان بن يقظان بتسليم سرقسطة إلى شارلمان وفي الوقت نفسه يقوم عبد الرحمن الفهري بحصار مدينة مرسية وبهذا يتمكنوا من القضاء على عبد الرحمن الداخل. وفي سنة 778م اتجه شارلمان بجيشه إلى سرقسطة ولكن الحظ لم يحالفه إذ أن سرقسطة قاومت بضراوة وأثناء تراجع قوات شارلمان وانسحابها باتجاه موطنها عبر جبال البرانس قام الباسك بالهجوم على مؤخرة جيشه والحقوا بها شر هزيمة قتل فيها قائده **رولان حاكم إقليم بريتاني** بفرنسا في معركة عرفت باسم رونسفو في 15اوت778م. ولم ينته الصراع عند هذا الحد بل أن شارلمان في سنة 795م أرسل جيشا إلى الساحل الشمالي الشرقي من اسبانيا بل انه امن الجهة الجنوبية لأوربا من هجوم المسلمين.

5-**إحياء الإمبراطورية الرومانية المقدسة سنة 800م** في ظروف تميزت بالصراع بين رجال الدين وفرض سطوة بعض منهم حيث حاولوا عزل البابا ليون الثالث795-816 وانتخاب آخر يعمل لصالحهم، في الوقت نفسه حدث أن تم عزل إمبراطور الشرق قسطنطين السادس وتولى أمه ايرين797-820م الحكم كل ذلك زاد من قلق الغرب اللاتيني. ولم يكن حينها سوى شخصية شارلمان الذي كانت له طموحات حيث سار باتجاه روما وتزامن ذلك مع عيد الميلاد لسنة 800م اجتمع الناس بكنيسة القديس بطرس للاحتفال وظهر البابا ليون يتلو القداس. وفي نهاية ذلك قام البابا بوضع تاج الإمبراطورية على رأس شارلمان فهتف الحاضرون بشارلمان اوغسطس المتوج بأمر الله الإمبراطور العظيم ، كما قام البابا وألبس شارلمان العباءة الإمبراطورية.

أما فيما يخص سياسة شارلمان الداخلية فقد كانت حكومته دينية وتم مشاركة الكونت والأسقف في شؤون الإدارة في جميع الكونتيات الثلاثمائة وفي حالة إرسال مبعوثين كان الأسقف ورؤساء الأديرة هم أصحاب المهمة أما

في ما يخص الشؤون المالية والإدارية فقد وضع نظاما مضبوطا للعملة واصدر تشريعا يحرم الربا وحدد أسعار الحبوب كالقمح، وعزز مكانة النقابات التي تعمل بقوانين الدولة وشدد الحراسة على الطرق الداخلية لحماية المسافرين والتجار.

6- **النهضة العلمية في عهد شارلمان:** كان في مقدمة روادها الانجليزي الكوين735-804م رئيس مدرسة يورك عينه شارلمان مديرا لمدرسة القصر الملكي في مدينة آخن(اكس لاشابيل) وأصبح ألكوين مرجعا للملك في سياسته التعليمية ومستشارا له في الأمور الكنسية بل عهد إليه مراجعة الكتاب المقدس وكتب الصلوات وبهذا أصبح ألكوين رائد حركة الإصلاح في الطقوس الدينية الكارولنجية. تمكن شارلمان بمساعدة ألكوين من جعل مدرسة القصر نموذجا ثقافيا لأوربا الغربية واعتمد ألكوين في تعليمه على الطريقة الكلاسيكية وتشتمل على الفنون السبعة وهي النحو والمنطق والخطابة والموسيقى والحساب الهندسة والفلك. ونشطت الحركة العلمية والثقافية بالمدرسة وأصبح شارلمان وزوجته الرابعة ليوتجارا وأبناؤه ومؤرخه اينهارد ضمن طلاب المدرسة، كما كانت هناك مدارس أخرى إلى جانب مدرسة القصر مثل المدرسة التي أسسها ألكوين بعد انسحابه من مدرسة القصر سنة787م، هذا بالإضافة إلى المدارس المتخصصة والتي أمر بتأسيسها الملك سنة 789م.

-7- **معاهدة فردان سنة 843م واضمحلال الإمبراطورية:** اتسعت الإمبراطورية التي أسسها شارلمان وازدادت قوة ونفوذا وبعد موته سنة 814م بدأ الضعف يدب فيها بسبب عامل التقسيم بين الأبناء ولكن بوفاة اثنين وبقاء الثالث وهو لويس التقي (814-840م) زاد من عمر المملكة، غير أن أبناء لويس تنازعوا ملك أبيهم وبموجب معاهدة فردان سنة 843م تقاسم الأبناء هذا الإرث بحيث اخذ شارل الأصلع نستريا واكويتين والولايات الاسبانية أما لويس الجرماني فقد اخذ شرق الراين من استراسيا وبافاريا وسكسونيا بينما اخذ لوثير الجهة الوسطى من فريزيا إلى دوقية اللومبارديين مع اللقب الإمبراطوري. وعليه يمكن القول بأن معاهدة فردان وضعت حدا للنزاع وفي نفس الوقت كانت بداية لنهاية إمبراطورية، وبداية ظهور تشكل الدولتين الفرنسية والألمانية، بحيث ظهرت أُسر أخرى تحكم المنطقتين أسرة آل كابيه في فرسا888-1137م والأسرة السكسونية في ألمانيا 919-1056م.